د. الصاوي حبيب

د. ناصح أمين

د. محمد الظواهري

د. منصور فايز

أطباء عبد الناصر.. وكيف كان يتم اختيارهم

obeikandl.com

obeikandl.com

يشرح لنا الدكتور / منصور فايز كيف تم اختياره لمهمة الإشراف علي علاج عبد الناصر .. وكذا كيف كان يتم اختيار أطباء الرئيس .. وقد سبق وشرح لنا الدكتور الصاوي حبيب كيف تم اختياره في شهادته علي تلك المسيرة .

قبيل منتصف الستينات اتصل بي الدكتور أحمد ثروت الطبيب المرافق للرئيس جمال عبد الناصر وأبلغني أن الرئيس طلب منه أن يعرض علي الإشراف علي علاجه ، كان ذلك بعد ثلاثة شهور من وفاة المرحوم الدكتور : أنور المفتي الذي كان يشرف علي علاج الرئيس .

كان اختياري لهذه المهمة من جانب جمال عبد الناصر تقديراً كبيراً لي حيث كانت سمعتي أساس هذا الاختيار والفيصل فيه ، فلم يكن الرئيس يعرفني شخصياً ، ولم أكن طبيباً في القوات المسلحة عرفته بحكم موقعي .

وما أتيح لي أن أري الرئيس جمال عبد الناصر قبل ذلك إلا مرة واحدة وفي عجالة ، في أوائل أيام الثورة ، فقد حدث أن ذهب جمال عبد الناصر لزيارة المرحوم/ حفني محمود أثناء مرضه وبصحبته عبد الحكيم عامر ، وكان حفني محمود من رجال السياسة البارزين ومن أعز أصدقاء [حيدر باشا] وتصادف وجودي هناك أثناء الزراية فسلمت علي الزائرين لدي وصولهما وانصرفت وأذكر أن المرحوم حفني محمود كان ممتناً لسؤال عبد الناصر عنه ، وقال لي بعدها [تصور أن يحضر جمال عبد الناصر لزيارتي حين علم بوعكتي بمجرد رجوعه من برج العرب بينما لم يكلف محمد نجيب نفسه عناء الحضور وهو الذي كان في القاهرة] !

وكان أول لقاء لي بالرئيس جمال عبد الناصر للإشراف علي علاجه بعد أن انتقي الدكتور حسن صبري رئيس القسم الطبي بالقوات المسلحة مجموعة من الأطباء الأجانب في مختلف التخصصات لإجراء الكشف علي الرئيس .

لم يكن هناك سبباً محدداً لهذا الكشف وإنما كان فحصاً روتينياً شاملاً ، وكان علي

أن أكشف علي الرئيس وأن أكتب نتيجة الكشف في تقرير .

ودخلت منزل الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة ، كان منزلاً بسيطاً ، بل متواضعاً بالقياس لمنازل الرؤساء ، عبرت الحديقة الأمامية ودلفت من الباب الرئيسي في الدور الأرضي إلي صالة كبيرة تتوسطها منضدة مستديرة من الرخام عليها آنية من الزهور هي أول ما يراه الداخل إلي الدار ، علي اليسار كان هناك باب يقود إلي حجرة مكتب الرئيس في الدور الأرضي ، وعلي اليمين كان باب آخر يقود إلي الحجرة التي كان الرئيس يستقبل فيها ضيوفه ، تتوسطها مدفأة تعلوها لوحة طفل يقدم راكعاً باقة من الزهور إلي طفلة وتحت هذه الصورة كانت معظم صور الرئيس مع ضيوفه الرسميين ، وبعد هذا الباب ، وعلي الجانب الأيمن أيضاً ، كان باب آخر يقود إلي الصالون الرئيسي ثم حجرة الطعام الرئيسية وهي حجرات كانت تستخدم في المناسبات حين يستقبل الرئيس وفوداً كثيرة العدد ، أو يقيم في منزله دعوات رسمية .

وقطعت الصالة الرئيسية إلي السلم الذي يقود إلي الدور العلوي ، حيث كانت صالة المعيشة للرئيس والأسرة في مقابل السلم ، وعلي يمينه في مساحة مفتوحة كانت غرفة طعام الأسرة .

ودخلت إلي جناح الرئيس : حجرة مكتب علوية تقود إلي حجرة نومه كان علي المكتب أوراقاً كثيرة مرصوصة بنظام دقيق يعبر عن شخصية شاغله ، وخلف المكتب مكتب ملأي بالكتب والمراجع التي يستخدمها الرئيس ، وأمامه وعلي الناحية المقابلة للغرفة كانت كنبة أمامها منضدة عليها مجموعة من الصحف ، وبجانبها كرسي وبينهما منضده صغيرة عليها جهاز الراديوا .

وخلف الكرسي الجانبي مكتبة أخري أصغر حجماً تحوي أوراقاً علي بعض رفوفها ، وكتباً علي البعض الآخر يفرق بينهما براويز بصور عائلية لأفراد أسرة

الرئيس .

وعبرت حجرة المكتب العلوية إلي حجرة نوم الرئيس ، كان سريره على يسار الباب وبجانبه منضدة تعلوها مجموعة كبيرة من الأوراق المنظمة بدقة أيضاً . وعلي يسار السرير كان جهاز التليفون وجهاز راديو صغير ، وفي الجانب المواجه لباب الدخول كان الحائط عبارة عن مجموعة من البلاكارات [الدواليب الخشبية] وفي وسطها مرآة تحتها [شيفونيرة] وكان في الحجرة كرسي هزاز أمامه منضده صغيرة فوقها مجموعة من الأوراق كسابقاتها ، وخلفه موبيليا خشبية تضم بداخلها أجهزة [التليفزيون ـ الراديو ـ المسجل ـ وجهاز تشغيل الأسطوانات] وبداخلها كانت مجموعة كبيرة من اسطوانات الموسيقي الكلاسيكية وشرائط مسجلة لحفلات أم كلثوم ، وفي الحجرة كان الرئيس جمال عبد الناصر في انتظاري .

كان إنطباعي عن جمال عبد الناصر قبل أن ألتقي به أنه زعيم ذو شخصية قوية وأن السمة الغالبة عليه هي الشدة والجدية طوال الوقت وأعتقد أنني في هذا الانطباع العام كنت أشارك غيري من المواطنين الذين يتابعون الرئيس منذ عام ١٩٥٢ بواسطة الصحف والإذاعة والتليفزيون .

وتغير هذا الإنطباع منذ اللحظة الأولي .

ووقف الرئيس مرحباً بي في بساطة شديدة ، وعلت شفتيه وعينيه ابتسامة مرحبة أزالت مني علي الفور توتر اللقاء الأول .

وبعد حوار قصير سأل فيه الرئيس عني وعن أسرتي دعاني إلي إجراء الكشف عليه ، وبعد انتهاء الكشف لم يفته أن يطلب مني بنفسه أن أتولي الإشراف علي علاجه ، برغم أنه سبق لي أن أبلغت الدكتور ثروت بأن ذلك يسعدني وشعرت من أول لقاء بمدي دماثة الخلق ورقة المشاعر التي تميز جمال عبد الناصر ، فلم يكن ليترك مثل هذا الطلب يأتيني من طبيبه المرافق وقصد أن يشعرني بأنه يسألني ذلك

بنفسه .

ولم يكن هذا البعد الإنساني هو كل ما جد علي انطباعي المسبق عن شخصية جمال عبد النار ، فلقد شعرت من أول لقاء بها تأكد لي مع مرور الوقت من أن جمال عبد الناصر أقوي شخصية مما كنت أتصور ، فهو أقوي حتى من كل الانطباعات التي تتركها خطبه وصوره ويتمتع بشخصية آسرة عميقة التأثير فيمن تتاح له فرصة مقابلته .

وخرجت من عند جمال عبد الناصر لأكتب تقريري بنتائج الكشف .

ومن ذلك الوقت توليت مهمة الإشراف علي علاج الرئيس عبد الناصر ، كنت أزوره بصفة دورية كل أسبوع مرة وإذا دعت الحاجة كانت زياراتي له تتكرر يومياً .

وكانت من عادة الرئيس أن يصحو مبكراً ويطلب كوباً من الشاي في حجرته ، ويبدأ يومه بالإطلاع علي جميع طبعات الصحف المصرية والاستماع إلي نشرات الأخبار الصباحية في الإذاعات العالمية ، ثم يبدأ في إجراء عدد من الاتصالات التليفونية الصباحية بالمسئولين في الدولة .

وبعد حوالي الساعتين - أي في حوالي التاسعة صباحاً - كان الرئيس يطلب الطبيب المرافق إلي ينفذ العلاج ، وفي هذا الوقت كنت أدخل إليه حين أحضر في زياراتي الدورية .

وخلال السنوات التي عرفت فيها جمال عبد الناصر من قرب وجدته إنساناً متواضعاً حلو الاستقبال ، وكان دائماً سريع البديهة ، قوي الملاحظة ، مرح الروح مهما كانت التحديات التي تشغل باله ، كان يتحدث معي قبل الكشف عليه حديثاً عاماً فإما أن يحكي عن بعض مشاغله فكنت أستمع لما يشاء روايته ، أو أن يسأل عن بعض الأمور التي تهمه .

خلال السنوات الطوال نشأت بين الرئيس جمال عبد الناصر وبيني تلك العلاقة

الحميمة التي تميز دائماً علاقة الإنسان بطبيبه ، فالطبيب يرتبط دائماً بالصحة ، وهو الذي يعود الشخص إذا مرض ، هو الذي ـ من بعد الله ـ يشفي ويطيب .

فريق كامل من الأطباء

كان الرئيس جمال عبد الناصر يعاني من مرض السكر منذ عام ١٩٥٨ ولم يظهر عليه أية مضاعفات لهذا المرض منذ ذلك التاريخ وحتى ١٩٦٨ وانحصرت المضاعفات حينذاك في آلام الساق التي بدأ يشعر بها علي النحو الذي سيرد في حينه ، وكان مرض السكر وراثياً في عائلته فقد كان له أخ مريض بالسكر وكذا كان عمه .

وكان الرئيس يتبع نظاماً خاصاً في الأكل لعلاج السكر ، ولم أجد متاعباً في هذا المجال ؛ فقد كان عبد الناصر بطبيعته غير ميال للإكثار من الأكل وكان طعام الرئيس وعائلته عامة أكلاً مصرياً عادياً وصحياً .

ففي الإفطار كان طعام الرئيس يتكون عادة من الخبز والفول المدمس والجبن الأبيض وفي العشاء كان بعض أنواع الفاكهة الطازجة يحل محل الفول ، أما طعام الغذاء فكان يتكون من الخضروات والسلطة الخضراء واللحوم والخبز وكانت كمية النشويات في الوجبات الثلاث محدودة .

ولم يخل الأمر من الاستثناءات فأحياناً كان الرئيس عبد الناصر يبلغني بأنه قد أكل كمية من الخبز ، كذلك كان يخرج علي نظام أكله حيث تطهو زوجته أحد الأصناف [مثل المحشي] وهي التي عرفت بإجادة الطهي بامتياز .

وكان علاج السكر عند الرئيس جمال عبد الناصر يعتمد علي حقن الأنسولين ، حيث كانت العقاقير التي تعطي عن طريق الفم غير مجدية في علاجه ، فكان عليه أن يأخذ حقنة أنسولين طويلة المفعول يومياً قبل الإفطار .

وبعد فترة من إشرافي علي علاج الرئيس ، رأيت إشراك الأستاذ الدكتور علي البدري ، أخصائي مرض السكر المعروف معي في العلاج ، وكان الأستاذ الدكتور

ناصح أمين يعمل التحاليل اللازمة .

كان الدكتور أحمد ثروت طبيباً مرافقاً للرئيس جمال عبد الناصر يتولي تنفيذ العلاج ، وحين مرض في أعقاب ١٩٦٧ ولم يتمكن من مباشرة عمله حل محله الدكتور الصاوي محمود حبيب ، إلا أن الرئيس كان حريصاً علي أن يزوره الدكتور أحمد ثروت دورياً حفاظاً علي مشاعره وبقيت زيارات الدكتور ثروت مستمرة حتى انتقل الرئيس إلي رحمة الله .

كان يشترك معنا في علاج الرئيس عبد الناصر الدكتور « بولسون » من « الدنمارك » وهو من أكبر أخصائي السكر في العالم وكان يعود الرئيس مرة كل ستة أشهر أو إذا دعت الحاجة وكان الدكتور « بولسون » من أشد المعجبين بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وكان دائم الإشادة به كزعيم عالمي وكان يأتي متطوعاً رافضاً أية أتعاب .

ومن آن لآخر كان يزور الرئيس أيضاً الدكتور « فيفر » من « ألمانيا الغربية » وهو أخصائي شهير في مرض السكر .

وكان الرئيس يشكو من حساسية بالجيوب الأنفية ، وكان يعالجه من ذلك الأستاذ الدكتور علي المفتي الذي ظل يشرف علي علاجه حتى رحيله عام ١٩٧٠ كما كان يشكو من تمدد في الشعب الهوائية بالرئة خاصة وأنه معروف أن مرض السكر يقلل من مقاومة هذه النزلات .

كان هؤلاء يشكلون مجموعة الأطباء المعالجة لجمال عبد الناصر ، والذين عملوا معي كفريق للمحافظة علي كامل اللياقة الذهنية والبدنية للرئيس حتى وافاه القدر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

وعلاوة علي هؤلاء الأطباء فقد كنت أستشير بعض الأخصائيين من الداخل أو الخارج كلما استلزم الأمر ذلك .

وبعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر انتشرت شائعات مغرضة ومقصوده حول أطباء الرئيس ، بعضها كان مجرد افتراء استغل أن أطراف الشائعات أصبحوا في ذمة الله ؛ محاولة النيل من جمال عبد الناصر ، وكان بعضها الآخر من نسيج الخيار كأفلام الجاسوسية في السينما العالمية .

كانت أول هذه الشائعات هي : أن المرحوم الدكتور أنور المفتي قد مات مسموماً عقب تناوله كوب من عصير الجوافة في منزل جمال عبد الناصر ، وإن ذلك كانت بتدبير صلاح نصر مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت ، وقد ترددت هذه الشائعات مع بدايات حملات ضاربة وظالمة في عهد جمال عبد الناصر كلها استمرت لسنوات طويلة واستهدفت الرجل بقدر ما استهدفت مبادئه .

وكان من أكثر من المهم هذا الافتراء الدكتور علي المفتي ـ شقيق الدكتور أنور المفتي ـ طبيب الأنف والأذن والحنجرة الذي كانت يتولي علاج عبد الناصر .

وتذكرت كم من أكواب العصير وفناجين القهوة والشاي شربت في بيت جمال عبد الناصر وفي مكتب صلاح نصر بالمخابرات العامة .

وادعت ثاني هذه الإشاعات أن إسرائيل نجحت في إقحام جاسوس لها بين فريق أطباء الرئيس ، وأنه كان طبيب العلاج الطبيعي الذي نجح في أن يتسبب في وفاة الرئيس عام ١٩٧٠ من خلال تدليكه بمادة سامة بطيئة المفعول ، والواقع أن هذا الاسم الذي تردد لم يكن أبداً من بين المترددين لأي شأن من الشئون علي منزل الرئيس ـ علي فرض أن لهذا الاسم وجوداً ـ كما أن الرئيس لم يخضع للعلاج الطبيعي إلا لفترة محدودة بدأت بعد عودته من « سخالطوبو » في نهايات عام ١٩٦٨ وانتهت لدي إصابته بالأزمة القلبية الأولي عام ١٩٦٩ حين أوقفت هذا العلاج لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب وكان طبيب العلاج الطبيعي هو الدكتور / فوده الضابط بالقوات المسلحة ومسئول العلاج الطبيعي بمعهد التأهيل بالعجوزة .

وكان جمال عبد الناصر مريضاً مطيعاً يؤمن بأهمية الالتزام بإرشادات الطبيب قدر ما يستطيع ومن الطبيعي أنه كان لا يحق أن يري منظر الدم وكان يدير وجهه عند أخد عينه دم منه .

وكان يدخن بكثرة سجاير « كرافن » بدون فلتر ، ثم سجاير « كنت » وقد حاولنا مراراً منعه من التدخين دون جدوي ، وكان يقول : « لقد أصبحت السجاير هوايتي الوحيدة المتبقية فهل ستحرموني منها أيضاً ؟! »

ولكن في ١٩٦٨ حين بدأ يشعر بألم الساق نتيجة قصور في الدورة الدموية طلبنا منه ضرورة التوقف عن التدخين ، كما طلب منه الأطباء الروس ذلك ، وامتدت يد جمال عبد الناصر بالسيجارة المشتعلة في يده إلى المنضدة بجانبه وأطفأ سيجارته ، ولم يعد إلي التدخين أبداً بعدها .

وكان عبد الناصر يعمل قرابة الثمانية عشر ساعة يومياً ، كان يصحو مبكراً وينام متأخراً ، وكان طوال يومه حبيس مكتبه ما بين الأوراق والتليفون وجهاز الراديو وكان بحكم موقعه ومسئولياته يعيش كل سطر يقرؤه وكل خبر يسمعه وكان عمله هو حياته بكل ما في الكلمات من معان .

كانت المشكلات التي يتعامل معها جسيمة بقدر طموحاته وبقدر دوره الرائد في عالمنا العربي وفي العالم الثالث ، وحين كنت أنصحه بالبعد عن الإنفعالات والحد من الجهد الذي يبذله كان رده يجيئني : [هذه طبيعتي لا أستطيع لها تغييراً ، وهذا قدري لا مناص من مواجهته] .